نحو العدو فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم السجود والصف الذي يليه انحدر الصف المؤخر بالسجود
فسجدوا ثم سلم النبي صلى الله عليه وسلم وسلمنا جميعا قال جابر كما يصنع حرسكم هؤلاء بأمرائهم
أخرجه مسلم بتمامه وأخرج البخاري طرفا منه أنه صلى صلاة الخوف مع النبي صلى الله عليه وسلم في الغزوة
السابعة غزوة ذات الرقاع وبهذا الحديث أخذ الشافعي ومن وافقه فيما إذا كان العدو في جهة القبلة
المسألة الرابعة إذا اشتد الحرب والتحم القتال صلوا رجالا وركبانا يومئون بالركوع والسجود
إلى أي جهة كانت هذا مذهب الشافعي ومذهب أبي حنيفة أنهم لا يصلون في هذه الحالة فإذا أمنوا
قضوا ما فاتهم من الصلاة ولصلاة الخوف صور أخرى مذكورة في كتب الفقه وليس هذا موضعها والله
أعلم وقوله تعالى **ولا جناح عليكم** أي ولا إثم ولا حرج عليكم **إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم**
مرضى أن تضعوا أسلحتكم قال ابن عباس رخص الله لهم في وضع السلاح في حال المطر وحال المرض
لأن السلاح يثقل حمله في هاتين الحالتين **وخذوا حذركم** يعني راقبوا عدوكم ولا تغفلوا عنه أمرهم
الله بالتحفظ والتحرز والاحتياط لئلا يتجرأ العدو عليهم قال ابن عباس نزلت في النبي صلى الله عليه وسلم
وذلك أنه غزا بني محارب وبني أنمار فنزلوا ولم يروا من العدو أحدا فوضع الناس السلاح فخرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجة حتى قطع الوادي والسماء ترش بالمطر فسال الوادي فحال السيل
بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين أصحابه فجلس تحت شجرة فبصر به غورث بن الحرث
المحاربي فقال قتلني الله إن لم أقتله ثم انحدر من الجبل ومعه السيف ولم يشعر به رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا وهو قائم على رأسه وقد سل السيف من غمده وقال يا محمد من يمنعك
مني الآن فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم اكفني غورث بن الحرث بما شئت فأهوى غورث
بالسيف ليضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأكب لوجهه من زلخة زلخها من بين كتفيه وندر السيف
من يده فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ السيف ثم قال يا غورث من يمنعك مني الآن
فقال لا أحد فقال أتشهد أن لا إله إلا الله وأني محمد عبده ورسوله فقال لا ولكن أشهد أن لا أقاتلك
ولا أعين عليك عدوا فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم سيفه فقال غورث لأنت خير مني
قال النبي صلى الله عليه وسلم أجل أنا أحق بذلك منك فرجع غورث إلى أصحابه فقالوا ويلك يا غورث
ما منعك منه فقال والله لقد أهويت إليه بالسيف لأضربه به فوالله ما أدري من زلخني بين كتفي
فخررت لوجهي وذكر لهم حاله مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قال وسكن الوادي فقطع رسول
الله صلى الله عليه وسلم الوادي إلى أصحابه وأخبرهم الخبر وقرأ هذه الآية ولا جناح عليكم
إن كان بكم أذى من مطر أو كنتم مرضى قال ابن عباس كان عبد الرحمن بن عوف جريحا فنزلت فيه أن تضعوا
أسلحتكم وخذوا حذركم يعني من عدوكم **إن الله أعد للكافرين عذابا مهينا** يعني يهانون
فيه قوله عز وجل **فإذا قضيتم الصلاة** يعني فإذا فرغتم من صلاة الخوف **فاذكروا الله** يعني
بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير وأثنوا على الله في جميع أحوالكم **قياما وقعودا وعلى**
جنوبكم فإن ما أنتم عليه من الخوف جدير بالمواظبة على ذكر الله عز وجل والتضرع إليه
[illegible] فإنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه وقيل المراد بالذكر
الصلاة يعني فصلوا لله قياما يعني في حال الصحة وقعودا في حال المرض وعلى جنوبكم يعني في حال الزمانة
والجراح **فإذا اطمأننتم** يعني فإذا أمنتم وسكنت قلوبكم وأصل الطمأنينة سكون القلب
فأقيموا الصلاة يعني فأتموها أربعا فعلى هذا يكون المراد بالطمأنينة ترك السفر والمعنى
فإذا صرتم مقيمين في أوطانكم فأقيموا الصلاة بإتمام ركوعها وسجودها فعلى هذا يكون المراد
بالطمأنينة سكون القلب عن الاضطراب والأمن بعد الخوف **إن الصلاة كانت على المؤمنين**
كتابا موقوتا يعني فرضا موقتا والكتاب هنا بمعنى المكتوب يعني مكتوبة موقتة في أوقات

محدودة

جامعة الملك سعود
قسم المخطوطات
عمادة شؤون المكتبات

محدودة فلا يجوز إخراجها عن وقتها على أي حال كان من خوف أو أمن وقيل معناه فرضا واجبا مقدرا في الحضر
أربع وفي السفر ركعتين قوله تعالى **ولا تهنوا في ابتغاء القوم** سبب نزول هذه الآية
أن أبا سفيان وأصحابه لما رجعوا يوم أحد بعث النبي صلى الله عليه وسلم في آثارهم فشكوا ألم
الجراحات فقال الله تعالى ولا تهنوا يعني ولا تضعفوا ولا تتوانوا في ابتغاء القوم يعني في طلب أبي سفيان
وأصحابه ثم أورد عليهم الحجة في ذلك فألزمهم بها فقال تعالى **إن تكونوا تألمون فإنهم يألمون**
كما تألمون يعني أن حصول الألم قدر مشترك بينكم وبينهم وليس ما تكابدون من الوجع والألم
الجراحات مختصا بكم بل هم كذلك فإذا لم يكن الألم مانعا لهم عن قتالكم فكيف يكون مانعا لكم
عن قتالهم وكيف لا تصبرون مثل صبرهم مع أنكم أولى بالصبر منهم لأنكم مقرون بالحشر والنشر
والثواب والعقاب والمشركون لا يعترفون بذلك كله فأنتم أيها المؤمنون أولى بالجهاد منهم وهو قوله
تعالى **وترجون من الله ما لا يرجون** يعني وتأملون من الله من الثواب في الآخرة ما لا يرجون وقيل ترجون
النصر والظفر في الدنيا وإظهار دينكم على الأديان كلها **وكان الله عليما حكيما** يعني أنه تعالى
لا يأمركم بشيء إلا وهو يعلم أنه مصلحة لكم قوله عز وجل **إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق** قال ابن عباس
نزلت هذه الآية في رجل من الأنصار يقال له طعمة بن أبيرق من بني ظفر بن الحرث سرق درعا من جار له
يقال له قتادة بن النعمان وكانت الدرع في جراب فيه دقيق فجعل الدقيق ينتثر من خرق في الجراب
حتى انتهى إلى الدار ثم خبأها عند رجل من اليهود يقال له زيد بن السمين فالتمست الدرع عند
طعمة فحلف بالله ما أخذها وما له بها من علم فقال أصحاب الدرع لقد رأينا أثر الدقيق إلى منزل
اليهودي فأخذوه منه فقال اليهودي دفعها إلي طعمة بن أبيرق زاد في الكشاف وشهد له جماعة
من اليهود قال البغوي فجاء بنو ظفر قوم طعمة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجادل عن صاحبهم
طعمة فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يعاقب اليهودي وأن يقطع يده فأنزل الله هذه الآية
وقيل إن زيد بن السمين أودع الدرع عند طعمة فجحده فأنزل الله هذه الآية إنا أنزلنا إليك يعني يا محمد
الكتاب يعني القرآن بالحق يعني بالصدق وبالأمر والنهي والفصل **لتحكم بين الناس بما أراك الله**
يعني بما علمك الله وأوحى إليك وإنما يسمى العلم اليقيني رؤية لأنه جرى مجرى الرؤية في قوة
الظهور وروي عن عمر أنه قال لا يقولن أحدكم قضيت بما أراني الله فإن الله لم يجعل ذلك إلا لنبيه
صلى الله عليه وسلم ولكن ليجتهد رأيه لأن الرأي من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مصيبا لأن
الله تعالى كان يريه إياه وأن رأي أحدنا يكون ظنا ولا يكون علما قال المحققون دلت هذه الآية
على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يحكم إلا بالوحي الإلهي والنص المنزل عليه **ولا تكن** يعني يا محمد
للخائنين خصيما يعني ولا تكن لأجل الخائنين وهم قوم طعمة مخاصما عنهم ومجادلا عن طعمة فدافعا
عنه ومعينا له **واستغفر الله** يعني مما هممت به من معاقبة اليهودي وقيل من جدالك عن
طعمة **إن الله كان غفورا** يعني لذنوب عباده يسترها ويغفرها لهم **رحيما** يعني بعباده المؤمنين
فصل وقد تمسك بهذه الآية من يرى جواز صدور الذنب من الأنبياء وقال لولا وقوع الذنب من الرسول
صلى الله عليه وسلم لما أمر بالاستغفار والجواب عما تمسكوا به من وجوه أحدها أن رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يفعل ما نهي عنه ولا حكم بالسرقة على اليهودي فتوقف رسول الله صلى
الله عليه وسلم عن ذلك وانتظر ما يأتيه من الوحي السماوي والأمر الإلهي فنزلت هذه الآية
وأعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن طعمة كذاب وأن اليهودي بريء من السرقة وإنما مال صلى
الله عليه وسلم في نصرة طعمة وتوهم بذلك بسبب أنه في الظاهر من المسلمين فأمر بالاستغفار
لهذا القدر الوجه الثاني أن قوم طعمة لما شهدوا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ببراءة
طعمة من السرقة ولم يظهر في الحال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوجب القدح في شهادتهم

Copyright King Saud University